السوريون في البرازيل

اطلعت في عدد فبراير من المقتطف على سؤال موجه اليكم عن الجالية السورية في البرازيل. كان جوابكم عليه ان طلبتم الايضاح من احد الكتّاب في هذه الديار وبذلك فتحتم لي باباً لنشر السطور التالية في مجلتكم وهي مختصرة من مقدمة كتاب انوي اصداره قريباً يتضمن بحثاً وافياً في احوال جاليتنا الاجتماعية منذ فجر المهاجرة الى يومنا هذا؛ وهاكم هذه السطور عسى ان تفي بغرض السائل:

ليس في مظاهر السوريين اليوم ما يدل اقل دلالة على انهم اولئك الذين هاجروا الى هذه البلاد السحيقة ورأسمالهم الوحيد حلية العزيمة على حد قول الشاعر الكبير حافظ ابرهيم في المهاجر السوري:

يمضي ولا حلية الاّ عزيمتهُ وينثني وحلاهُ المجد والذهبُ

ان السوريين الذين استدانوا اجرة السفر في ادنى الدرجات ونالهم ما لا يتحملهُ غيرهم من عسف سماسرة بيروت ومرسيليا وشراسة بحارة البواخر التي كانت تقلهم الى هذه الديار اصبحوا اليوم واكثرهم من اصحاب المعامل الكبيرة والتجارات الواسعة والمزارع الخصبة وهم يسكنون قصوراً فخمة مزدانة بأثمن الاثاث والرياش ووسائل الراحة حتى لقد يعسر على اكبر علماء البسيكولوجيا ان يستدل من حاضرهم على شيء من ماضيهم بل ان ذاكرتهم نفسها اصبحت تعصاهم اذا هم شاؤوا ان يعودوا بها الى تلك الايام السوداء التي مرّت عليهم في وطنهم الاصلي او السنين الاول التي قضوها في هذه البلاد. فهم اليوم اشبه بالشجرة التي تخفي جذورها في الارض ولكي تورق وتثمر

فجر المهاجرة — ينتهي بدء مهاجرة السوريين الى البرازيل الى اربعة عقود وبيف من السنين ومنذ ذلك الحين حتى اليوم وعددهم في تكاثر مستمر. فمن الآحاد نموا الى العشرات فالمئات فالالوف. والى المهاجرين الاولين يعود الفضل في تمهيد الطريق وتهيئه اسباب العمل والكسب للذين تلوهم وهم الذين ظلوا يخدمون المهاجرين على السواء الى ان تكاثر عددهم ونشأ بينهم شيء من المزاحمة فاصبح كل منهم يستميل اليهِ ابناء بلدتهِ ومجاوريهِ في الوطن الاصلي فيوفد من قبلهِ من

يقابلهم على رصيف الميناء ويجيء بهم الى الريودي جانيرو عاصمة البلاد او سان باولو عاصمة الولاية التي يسكنها اليوم اكثر السوريين لوفرة غناها فينزلون ضيوفاً عليه وهو يعنى بتلقينهم بعض العبارات التي يجب ان يعرفها كل بائع فاذا تعلمها احدهم حمّلهُ بعض الاصناف البخسة التي يمكنهُ رأسماله الضئيل من استجلابها وكلها من الكماليات كالصلبان والايقونات والسبح وبعض ادوات الزينة وارسله الى الداخلية وعليه ان يكتشف الاماكن الآهلة في مجاهل تبلغ مساحتها الوف الاميال المربعة . بعدما يضرب المهاجر اشهرا في البلاد يعود الى الحاضرة التي خرج منها ليودع ما جمعهُ صندوق التاجر ويستريح بضعة ايام ثم يعيد الكرة حاملاً حقيبتهُ التي يكون قد ملأها من جديد وترك للتاجر الحرية في ان يقيد عليهِ ما شاء . من هذه البداية الصغيرة نشأت الحوانيت في الدسكرة فالقرى فالبلدان وهذه نمت وصارت مخازن ومعامل كبرى في الحواضر

سبب الهجرة — ان الذين غادروا سوريا انما خرجوا منها هرباً من الجور والفقر وامّوا هذه البلاد وسواها آملين ان يجمعوا شيئاً من المال يمكنهم من ان يعيشوا في بلادهم بهناء ويشتروا قسطاً من العدل والحرية اللذين كانا نصيب الاغنياء في بلادهم في تلك الايام فكان اذا جمع احدهم قليلاً من المال يعود بهِ الى قريتهِ فيشتري حقلاً او يبتني بيتاً يسكن معظمهُ ويعيش باجرة البعض الآخر لذلك حتى عشرين او ثلاثين عاماً خلت كان السوريون في البرازيل مقيمين على سفر فلم ينشئوا من الاعمال او المعاهد الاجتماعية ما يقيدهم بسكنى هذه البلاد ويفرض عليهم الامتزاج باهلها والتخلق باخلاقهم . ولكن منذ ذلك العهد حتى اليوم طرأ على السوريين تغير اجتماعي هامّ مذ أدّاهُ اليأس من صيرورة بلادهم اهلاً لسكناهم وذلك بعد ان ذاق اكثرهم نعم الحرية والمساواة في هذه البلاد الديمقراطية بحيث اصبحوا يشعرون بنقص هائل في بلادهم لم يكن ليسدهُ الثراء فادركوا ان الثروة ليست كل شيء وذكروا انهم في المهاجر انعم بالاً في قواهم منهم في بلادهم على رغم ما اصابوه من الثراء بفضل المهاجرة

الرابطة الاجتماعية بين السوريين والبرازيليين — مما تقدم يستنتج القارىء ان البرازيليين كانوا يحتقرون السوريين في اول الامر لان مهمة هؤلاء كانت مقصورة على جمع شيء من المال يعودون بهِ الى بلادهم دون ان يشتركوا في ترقية البلاد

اقتصادياً او اجتماعياً او فنياً اذ كانوا يعرضون عن كل مهنة حيوية ويعتمدون على ترويج اصناف لا فائدة منها للسكان . وقد كانت هذه البلاد ولا تزال في حاجة الى الادمغة المفكرة والايدي العاملة لكي تزداد رقيّاً وعمراناً وكانت ولا تزال في غنى عن اناس يسلكون سلوك السوريين في ذلك العهد . لذلك كان البرازيليون لا يحترمون السوريين حتى ان بعض ذوي العقول السخيفة منهم كانوا يعتقدون او يجوز عليهم ان السوريين يأكلون الاولاد الصغار !

هذا كان من امر السوريين فيما مضى فكم يجب ان يعجب القارىء متى علم ان هذه الجالية المحتقرة بالامس اصبحت موضوع اعجاب البرازيليين واحترامهم يتغنى بفضائلها رجال السياسة واصحاب المراكز العالية منهم ويعزون اليها ارتقاء داخلية البلاد بما نقلهُ اليها افرادها من آثار المدنية واسبابها . ومما يحمدونهُ لها بنوع خاص الاخلاد الى السكينة والرغبة عن تعكير الامن العام. وقد خصتها جمعية الكشافة بحفلة اكرامية اذابت قلوب منافساتها من الجاليات الاجنبية الاخرى حسداً . والحق يقال ان هذه الجاليات ذات فضل كبير على البرازيل بما جادت بهِ عليها من رؤوس المال والادمغة المفكرة والايدي العاملة التي زادت انتاجها وكثرت غناها . وقد جرت تلك الحفلة على اثر اجماع السوريين على الاكتتاب لجمعية الصليب الاحمر ولجان الدفاع الوطني في انحاء ولاية سان باولو خصوصاً فكان مجموع ما اكتتبت بهِ اكثر من خمسمائة كونت او ما يعدل اربعين الف جنيه انكليزي في ذلك العهد. زد على ذلك ان السوريين عموماً اظهروا استعدادهم للاشتراك مع البرازيل على المانيا اذا هي ارسلت جيشاً الى اوربا

عدد السوريين — لا يوجد احصاء يعول عليهِ ولكن العارفين واهل الخبرة مجمعون على ان عدد السوريين في البرازيل يتراوح بين ثمانين الفاً ومئة الف وهناك عدد كبير منهم من ارباب العيال الذين اقترنوا بسوريات او وطنيات واصبحوا اباء لاولاد برازيليين وكثيرون منهم تجنسوا بالجنسية البرازيلية وكادوا يقطعون كل علاقة لهم بالوطن الاصلي

الصحف والمدارس — هذا شأن السوريين ولا وجه للغرابة بعد الذي تقدم اذا هم نسوا وطنهم الاصلي بتاتاً ولكن لحسن الحظ نرى ان سوريا لا تزال حية في ذاكرتهم بفضل الصحف العربية التي مضى على انشاء بعضها عقدان وهي لا

تزال مثابرة على خطتها من نقل اخبار الوطن الى المهاجرين وحضهم على البذل في سبيل ترقيته وبسط الاكف لاعانة فقرائه وعلى الاخص ابان الحرب العامة. وهي اليوم مع المدارس السورية التي انشىء بعضها منذ عشر سنوات حلقة الوصل بين الوطنين السحيقين ان كان عن الطريق المتقدم ذكرها او عن طريق تلقين التلامذة السوريين لغة آبائهم واجدادهم وشيئاً من تاريخ سوريا وجغرافيتها. لذلك يسرني ان اسجل في هذا المقام كلمة شكر واجبة لاصحاب الصحف والمدارس السورية الذين جاهدوا جهاد الابطال وثبتوا في الميدان على عقم الوسائل التي كانت لديهم

المعاهد الاجتماعية — للسوريين اليوم جمعيات عديدة اكثرها خيرية قامت باعمال مشكورة منها جمعية اليد البيضاء وملجأ اليتيم وهما نسائيتان والجمعية الخيرية المارونية وجمعية الشبيبة الحمصية والمنتدى الادبي الحمصي. وهناك حزب وطني سوري غايته ترقية مشاعيه اخلاقيا واجتماعيا استعداداً لنيل الاستقلال المنشود وقد بسط حتى اليوم قضية سوريا مراراً لكبار ساسة البرازيل وحقوقيها ولجمعية الامم. وقام اخيراً البعض من فضليات السيدات بمسعى جليل الفائدة برفع شأننا في اعين الاجانب الذين نعيش بينهم ويعود بالخير العميم على فقراء السوريين الا وهو انشاء مستشفى سوري من الطراز الحديث وجمع حتى الآن ما يساوي بحسب سعر القطع الحالي سبعة آلاف جنيه انكليزي. وقد اوصى بنحو نصف هذه القيمة المرحوم الياس عبد الاحد الزحلي وهو على فراش الموت. ومما يذكر لهذا المواطن تبرعه بنحو ثلاثة آلاف جنيه لانشاء مستشفى في مسقط رأسه وتمثل هذه القيمة لمستشفى الشفقة الوطني في هذه الحاضرة

اصحاب المهن — قد كثر في العقد الاخير عدد اصحاب المهن الراقية من السوريين فهناك طائفة لا يستهان بها من الاطباء والجراحين واطباء الاسنان والمحامين والمصورين وغيرهم

تجارة السوريين — معظم تجارة السوريين بالاقمشة من وطنية واجنبية وادوات الزينة على اختلافها ولهم مصانع عديدة وهناك عدد ليس بيسير ممن يتجرون بالمحاصيل الوطنية ويستجلبون الشيء الكثير من محاصيل سوريا والبعض من هؤلاء يصدرون البن وهو المحصول الرئيسي في هذه البلاد

سان باولو توفيق ضعون